

1 - نسبه ومولده ووفاته

اسمه زكرياء، لم يعرف بلقبه العائلي «الشيخ» وإنما اشتهر ابتداء من سنة 1926 «بمفدي». وهو لقب أطلقه عليه في تونس أستاذه الحطاب بوشناق، لنجابه وشاعريته ولطف إحساسه.

ولد في مدينة بني يزقن جنوب الجزائر في يوم الإثنين 18 جمادى الأولى من سنة 1326 هـ الموافق 18 حزيران 1908. وتوفي في تونس يوم الأربعاء 02 رمضان 1397 هـ الموافق 17 أوت 1977 ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه، حيث يوجد قبره في مدينة بني يزقن.

2 - نشأته

بدأ دراسته بحفظ القرآن في مدينته، وفي سن السابعة استقر مع والده الذي يعمل بمدينة عنابة، وفيها أتم حفظ القرآن، ومنها أرسله والده لمواصلة دراسته في تونس سنة 1922، التحق في البداية بمدرسة السلام القرآنية لمدة سنتين، نال بعدها الشهادة الابتدائية ثم انتقل إلى الخلدونية فدرس فيها المواد العلمية، وأنهى دراسته في تونس بجامع الزيتونة، وفيه تعمق في دراسة النحو، والبلاغة، والأصول.

إن السنوات الخمسة التي قضاها في تونس (1922-1926) من سن الرابعة عشرة إلى الثامنة عشرة، كانت كافية لترسم معالم شخصيته، وجد في تونس جوا حماسيا وطنيا كان سائدا بعد الحرب العالمية الأولى، بظهور حركة وطنية قوية، تميزت بمواجهات فكرية عنيفة، وكان

على صلة وثيقة بزوادها وزعمائها المؤسسين لحركة الحزب الحر الدستوري، أمثال عبد العزيز الثعالبي، ومحمد الرياحي، وعمه الشيخ صالح بن يحيى: تلقى على هؤلاء الدروس العملية الأولى في الوطنية، والتضحية، وحب الوطن، إضافة إلى الجو العلمي والثقافي المتفتح على الإنتاج الفكري الذي يرد من المشرق، في هذا الوقت أنشأ مفدي مجلة سماها «الوفاق»، سجلت كثيرا من إنتاجه، شعرا ونثرا، في مراحلها الأولى من حياته ولم يبلغ بعد العشرين.

3- العمل التجاري

اختار مفدي زكرياء العمل في الميدان الإقتصادي. تبنى أعمالا مختلفة، وأسس مشاريع متنوعة، ومع ذلك لم يكتب له النجاح، فكانت وراء الفشل عدة عوامل، لعل من أهمها انصرافه إلى العمل السياسي الوطني واهتمامه بالأدب والشعر والثقافة.

4- مع الحركة الوطنية والعمل السياسي

ارتبط إنتاج الشاعر الفكري بالنشاط السياسي منذ شبابه، واتخذ من مسألة المغرب العربي قضيته الأولى، يدعو إلى توحيد مقاومه الاحتلال، عملا بعقيدته المشهورة: «عقيدة التوحيد» ضمنها في وثيقة اقترحها على مؤتمر اتحاد طلاب شمال إفريقيا في تونس سنة 1934، ويعد عمله السياسي في الحركة الوطنية الجزائرية استمرارا

لنشاطه في تونس من قبل . كان رئيسا للجنة التنفيذية في حزب نجم شمال إفريقيا، ثم أمينا عاما في حزب الشعب، ورئيس تحرير جريدته « الشعب ». وانضم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ثم انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني وألف النشيد الوطني «قسما».

5 - قصته مع السجن

دخل مفدي زكرياء السجن ست مرات بتهمة المساس بأمن الدولة، كان ذلك لأول مرة سنة 1937. دامت رحلته الأخيرة في السجن في وقت الثورة ثلاث سنوات، بدأها بسجن بربروس الشهير في قلب العاصمة الجزائر، ثم نقل إلى سجن الحراش، وبعده إلى سجن البرواقية. وفي هذه الفترة كتب مفدي زوائعه، وخرجت إلى الناس من بين جدران السجن الموحشة، صرخات مدوية، وصيحات رددت صداها الجبال، والثورة فيها على أشدها.

6 - تراث مفدي زكرياء

كان الشاعر منصرفا خلال الأربعين سنة الأولى من نشاطه الفكري، إلى الإنتاج والإبداع في شتى الفنون، لم يلتفت أثناء ذلك إلى عملية الجمع والنشر، وكان لابد من الانتظار، حتى كانت سنة 1961 فيخرج الشاعر فيها أول إنتاج له من المطابع في بيروت، بعنوان «اللمب المقدس». ثم توالى صدور الأعمال الأخرى كما سيأتي ذكره.

انقطعت العلاقة بين فكر الشاعر وجمهوره بمجرد وفاته، فلم يصدر له ديوان جديد أو عمل آخر إبداعي بعد الوفاة قبل سنة 2003. وقد ذكر في ديوانه اللهب المقدس سنة 1961، جملة من الأعمال، أضاف إليها أعمالاً أخرى، أعلن عنها في مقابلة جرت سنة 1972 مع الصحفي بلقاسم بن عبد الله. وتحضيراً لسنة مفدي زكرياء 2002، أضاف الأستاذ مصطفى حموده اللثام عن مجموعة أخرى من أعماله

يمكن أن نستخلص من كل هذه المعلومات الحصيلة التالية، لعلها تشهد النور تباعاً، وما تزال أعمال البحث مستمرة وقد تمتد لسنوات طويلة للإحاطة بما في بطون الأرشيف والمكتبات العامة والخاصة من آثار الشاعر، في جميع البلدان العربية وغيرها من الأقطار عبر العالم:

أ- الشعر

ليس من السهل رسم صورة واضحة المعالم تنقل للقارئ بأمانة معلومات دقيقة عن الإنتاج الشعري لمفدي زكرياء، وبناء على هذا يمكن تقريب المشهد الحالي بعرض الموضوع في أقسام كالتالي:

* **القسم الأول:** يخص الدواوين المطبوعة في حياة الشاعر وهي أربعة صدر الأول «اللهب المقدس» في بيروت سنة 1961 يضم 1942 بيتاً، وفي سنة 1965 صدر في تونس ديوانه الثاني: «تحت ظلال الزيتون» يحتوي على 876 بيتاً، وصدرت في الجزائر ملحمته «إلياذة الجزائر» في 1001 بيت سنة 1973، وصدر في المغرب ديوانه الأخير سنة 1975 قبل

وفاته بعامين، يضم 2320 بيتا، وبذلك يصل العدد الإجمالي للأبيات المجموعة في حياته إلى 6139.

* **القسم الثاني:** أشعار جديدة غير موجودة في الدواوين السابقة قابلة للنشر في ديوان تستخرج من أربعة كتب مطبوعة هي: «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» لمحمد الهادي السنوسي الزاهري، و«مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة» للدكتور محمد ناصر، و«الأدب الجزائري في تونس» للدكتور محمد الصالح الجابري، و«الشعر الجزائري» للدكتور صالح خرفي. مجموع الأبيات في المؤلفات الأربعة 1468.

* **القسم الثالث:** نصوص جديدة عمل الأستاذ الباحث مصطفى حموده على جمعها من مصادر متعددة، أهمها تلك الموجودة في مكتبة مفدي زكرياء، ومكتبات أخرى ومن أرشيف بعض الأساتذة المهتمين بجمع التراث وكان مجموع عدد الأبيات التي جمعها هي: 1524.

* **القسم الرابع:** دواوين أعلن عنها الشاعر ولم تصدر وهي:
* - أهازيج الزحف المقدس: أغاني الشعب الجزائري الثائر (بلغه الشعب).

* - انطلاقة: ديوان المعركة السياسية في الجزائر من عام 1935 إلى 1954.

* - الخافق المعذب: شعر الهوى والشباب.

* - محاولات الطفولة: إنتاج الشاعر في صباه.

* **القسم الخامس:** يخص النصوص المجهولة وهي دون شك كثيرة، إلا أنه لم يقع الكشف عنها، وخاصة في الدوريات والصحف العربية التي كانت تتابع إنتاج الشاعر في حياته وتتنافس في نشره.

ب - النشر

أولاً: عناوين ذكرها الشاعر ولم تصدر بعد وهي حسب الترتيب الأبجائي:

- 1 - الأدب الشعبي الجزائري عبر التاريخ: الفولكلور.
- 2 - أضواء على وادي ميزاب: دراسة تاريخية.
- 3 - تاريخ الأدب العربي بالجزائر عبر القرون.
- 4 - تاريخ الفلكلور الجزائري.
- 5 - الجزائر بين الماضي والحاضر: رسالة سياسية.
- 6 - حوار المغرب العربي الكبير في معركة التحرير.
- 7 - ست سنوات في سجون فرنسا.
- 8 - الصراع بين الشعر الأصيل والشعر الدخيل.
- 9 - العادات والتقاليد في المغرب العربي الموحد.
- 10 - عواقر انبعاث القصة العربية: دراسة أدبية.
- 11 - قاموس المغرب العربي الكبير: في اللهجات المغربية.
- 12 - مائة يوم ويوم في الشرق العربي: يحتوي على 29 محاضرة بالكويت وقطر عن الثورة الجزائرية و9 أمسيات شعرية بمصر ولبنان.

13 - محاضرة سياسية بالمعهد الخلدوني بتونس سنة 1936.

14 - مذكراتي.

15 - نحو مجتمع أفضل: دراسة اجتماعية تربوية.

16 - اليتيم في العيد: قصة.

ثانيا: إحصاء بالأعمال النثرية الجديدة التي أعلن عن جمعها

الأستاذ مصطفى حموده وهي خمسة أنواع:

الكتب وعددها ثلاثة والمقالات وعددها خمسة وأربعون، أما

الرسائل فعددها اثنتان وعشرون، وقصتان اثنتان، ومسرحية واحدة.

ثالثا: مؤلفات بالمشاركة مع ثلاثة من أعلام تونس وهم:

1- رئيس تحرير جريدة «الصباح» الهادي لعبيدي:

* الأدب العربي في الجزائر عبر التاريخ 4 أجزاء.

* أنتم الناس أيها الشعراء: نقد تحليلي.

2- الأديب الحبيب شيبوب:

* صلة الرحم الفكرية بين أقطار المغرب العربي الكبير.

3- المؤرخ محمد صالح المهدي:

* تاريخ الصحافة في الجزائر.

* أقطاب الفكر بالمغرب على الصعيد العالمي.

رابعا: برامج في الإذاعة التونسية أحصاها الأستاذ مصطفى حموده

مما توفر من أعداد مجلة «الإذاعة» بمكتبة مفدي زكرياء وهي غير تامة

شملت هذه البرامج أربعة مواضيع:

1- في الأدب الجزائري بالإشتراك مع الهادي لعبيدي، عدد حصصه ثمانية وأربعون (48).

2- إحدى وثلاثون (31) حصة عنوانها: حديث الصباح.

3- تاريخ الصحافة في الجزائر، في ستة عشر (16) حصة.

4- أضواء على وادي ميزاب في ستة وعشرين (26) حصة.

7- مفدي زكرياء من خلال منشورات المؤسسة التي تحمل اسمه:

إن الهدف الأساسي من إنشاء مؤسسة مفدي زكرياء في جمعية عامة للمؤسسين بتاريخ 11 أكتوبر 2001، كان لرد الاعتبار لفكر الشاعر وإنقاذه من الضياع، وقد انتخبت الجمعية العامة نجل الشاعر الدكتور سليمان الشيخ رئيساً، وسطرت برنامجاً طموحاً بمناسبة إحياء الذكرى 25 لوفاته وخصصت سنة 2002 لتظاهرات الذكرى، أعطى رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة بنفسه إشارة انطلاقها، حضرتها شخصيات مهمة بفكر الشاعر من الجزائر والوطن العربي، وقد أجمعت الآراء على تشجيع الدراسات حول مفدي زكرياء وجمع تراثه في الوطن وخارجه، والعمل على نشره وقد شرعت المؤسسة في تنفيذ برنامجها حول تراث الشاعر وقد صدرت في الفترة من سنة 2003 إلى 2007 المنشورات التالية مرتبة حسب تاريخ صدورها:

<p>1 - أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى: ديوان لم يسبق نشره لمفدي زكرياء / تصدير بقلم الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، جمع وتحقيق مصطفى بن الحاج بكير حموده - الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء، 2003 - 325 ص،، 23 سم.</p> <p>2 - تاريخ الصحافة العربية في الجزائر/ تأليف مفدي زكرياء، جمع وتحقيق أحمد حمدي - الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء، 2003 - 194،، 23 سم.</p> <p>3 - مفدي زكرياء شاعر مجد ثورة: حوارات وذكريات / بلقاسم بن عبد الله - ط2 مزيدة ومنقحة - الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء، 2003 - 235 ص،، 23 سم.</p> <p>4 - كلمات: مفدي زكرياء في ذاكرة الصحافة الوطنية / إعداد وتقديم محمد عيسى وموسى - الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء، 2003 - 346 ص،، 30 سم.</p>	2003
<p>5 - الإيافة الجزائر / مفدي زكرياء - ط. فاخرة خاصة بالذكرى الخمسين للثورة المجيدة / إعداد وتوثيق وتقديم محمد عيسى وموسى، مراجعة محمد بن سمينه - الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء والديوان الوطني لحقوق المؤلف، 2004 - 179 ص،، 30 سم.</p> <p>6 - الإيافة الجزائر: 2 قرص CD سمعي بصوت الشاعر مفدي زكرياء يحتوي الأول على 27 مقطوعة والثاني على 24 (في كل مقطوعة 10 أبيات).</p>	2004

<p>7 - مفدي زكرياء في حنايا الجزائر: أعمال الملتقى الدولي مفدي زكرياء في الذكرى 25 لوفاته / تصدير محمد بن عمرو الزرهوني .- الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء، 2005 .- 503 ص، 23 سم.</p> <p>8 - إلياذة الجزائر: 2 قرص VCD سمعي مرئي بصوت الشاعر مفدي زكرياء يحتوي الأول على 28 مقطوعة والثاني على 24.</p> <p>9 - الأبعاد الدينية الفلسفية والتربوية لآثار مفدي زكرياء : أعمال الملتقى الدولي .. غرداية : مؤسسة مفدي زكرياء ، 2005 .. 279 ص ، 24 سم .</p>	2005
<p>10 - اللهب المقدس: بعض القصائد بصوت الشاعر في 1 قرص CD صوتي.</p>	2006
<p>11 - أعمال الملتقى الدولي: مفدي زكرياء شاعر الوحدة .- الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء، 2007 .- 468 ص، 24 سم.</p> <p>12 - تحت الطبع (مطابع موفم للنشر): مجموعة الأعمال الشعرية، اللهب المقدس، إلياذة الجزائر، أمجادنا تتكلم، تحت ظلال الزيتون. تصدرها المؤسسة بالاشتراك مع مؤسسة الجزائر عاصمة الثقافة العربية.</p>	2007

8 - المراجع الأساسية:

- شعر الثورة عند مفدي زكرياء: دراسة فنية تحليلية. يحيى الشيخ صالح. - قسنطينة، 1987. - 448 ص.
- شعر مفدي زكرياء: دراسة وتقويم. حواس بري. - الجزائر، 1994. - 429 ص.
- معجم أعلام الاباضية: قسم المغرب الإسلامي. - ج 2، ص 159.
- مفدي زكرياء: شاعر الثورة الجزائرية. حسن فتح الباب. - القاهرة، 1997. - 33 ص.
- مفدي زكرياء: شاعر مجد ثورة. بلقاسم بن عبد الله. - الجزائر، 1990. - 214 ص.
- مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة: دراسة ونصوص. محمد ناصر. - ط 2. - القرارة، 1989. - 302 ص.
- كلمات: مفدي زكرياء في ذاكرة الصحافة الوطنية / محمد عيسى وموسى. - الجزائر: مؤسسة مفدي زكرياء، 2003. - 346 ص.
- ملف: في الذكرى 25 لوفاة شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء: بني يزقن 16-17 فبراير 2002. - (35 وثيقة).
- النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس: 1900-1962. محمد الصالح الجابري. - تونس، 1983. - 426 ص.

الجزائر في: 17 رمضان 1428 / 29 سبتمبر 2007

محمد عيسى وموسى